Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأمـــا ابـــن الأنـــباري، فقد استطاع أن يبين تجليات النصوص الغائبة من خلال شرحه نص الحارث بن حلزة:

قبل ما اليوم بيضت بعيون الـــ نـــاس فيهـــا تعيّـــط وإبـــاء

"معـــناه، قـــبل اليـــوم عظم شأنها على الناس حتى أعمتهم وعظمت على أبصـــارهم. فيقال للرجل لأوصلن إليك مكروهاً يظلم من أجله عليك نهارك، أو شبيه به قولهم:

لأرينك الكواكب بالنهار... وقال النابغة:

تـــبدو كواكبه والشمس طالعة لا الـــنور نور ولا الإظلام إظلام.

أي رجعـــت حســـيراً كئيباً قد أظلم عليك نهارك، فأنت ترى فيه الكواكب بعـــالي النهار بريقاً، ومما يداني هذاالمعنى أيضاً قول جرير يرثي عمر بن عبد العزيز:

فالشـــمس كاسفة ليست بطالعة تـــبكي عليك نجوم الليل والقمرا

معـــناه الشـــمس كالكاســـفة لشدة ظلمتها، ونصب نجوم الليل والقمر على الوقت كأنه قال: "تبكي عليك أبداً، كأنه قال: طلعت الشمس ولم يكسف ضوءها نجوم الليل والقمر لحزنها وبكائها"(10).

فـــابن الأنـــباري ههنا بصدد عملية واضحة، جلية، كشف عنها من خلال استحضـــاره تلك النصوص المرجعية للنص الأول، فقد عظم الحدث حتى صار الـــليل نهـــاراً والنهار ليلاً، ولم يأت الناقد بهذه النصوص للتوضيح فقط، فحين قـــول الحـــارث أتى بالنص الغائب ليلاً، المأثور الذي يؤدي معناه ثم بنصوص شـــعرية، ربما اختلفت في الغرض الذي قيلت فيه، ولا نظنه واحداً عندهم على الـــرغم مـــن أن كل واحد منهم وصف هول الحدث وتأثيره في الإنسان. وربما كانت المداناة التي قصدها الأشرح هاهنا في مقاربة النص الأول دون الوصول إليه كاملاً؛ لأن النص لم تحكمه الظروف نفسها عند الشعراء.

ومـــن العمـــليات التناصـــية الـــتي وقف عندها الشراح، عملية المناقضة والعكـــس بين النص الحاضر والنص الغائب فابن جني أشار إلى مناقضة نص المتنبي التالي لنص غائب.

أأحـــبه وأحـــب فيـــه ملامـــة إن الملامـــة فيـــه من أعدائه

وقال: "كأنه ناقض في هذا البيت أبا الشيّص، وقوله: